١١- أبي

نَمُرُّ بشدة، شدة لم تعهدها العاصمة الأم منذ فترة مضت؛ فقد اقترب موسم الأمطار، بدا أنها ليست كأيّة ليلة، وأنها ليلة مفعمة بالأحداث التي تقارب غزارة الامطار التي يصحبها صوت الرعد الجامح، شعر جوزيف بكل ذلك الهول، لكن اجتاحه هول أشد، هول يشتد داخله كعاصفة من الغضب، تسلل لأذنه حديث يدور خارج الغرفة

"إنها أوامر الملك!"

"بل إن أوامره هي عدم دخول أحد"

"أجل، لكن ذلك لا يتضمن ترك الأمير ليتضور جوعا"

تردد لسمع جوزيف صوت زمجرة، ثم فُتح الباب وأردف الحارس الواقف أمام الباب:

"أسرع!"

بينما دخل خادم يحمل صحونًا بها بعض الأطعمة.

"سأضعها أعلى المائدة ثم أخرج فورا"

شرع الخادم بوضع الصحون سريعا على المائدة، بينما توجه جوزيف للحارس وردد بغضب:

"لمَ أنا هنا؟! أود مخاطبة الملك حالا!"

"الملك هو من أمر ببقائك هنا حتى تستطيع محادثته، حتى نحافظ على سلامتك"

"أين هي زوجتي؟ وأين أخي؟"

"سمو الأمير، أنا لا أعلم شيئا، أنا أنفذ أوامر الملك فحسب"

كان جوزيف قد وصل لذروة غضبه بالفعل، ولم يعد يتحمل كل تلك الألغاز، فمَ الذي يحدث؟! منذ أربعة أيام وهو محجوز بتلك الغرفة كالسجين، لم يرَ دومين منذ ذلك الاجتماع الأخير وحاول تحديد اجتماع آخر ليجد حلًّا بخصوص أمر دومين بتوقف البحث عن علاج للمرض الأزرق، لأن جوزيف لن يفعل ذاك أبدا وخاصة بعد علمه بمرض جودي، لطالما حاول الاحتفاظ بالهدوء، لكن في تلك اللحظة شعر بنيران تشتعل بداخله، شعر بحدة الشعب الأحمر به من فرط الغضب مما يحدث وقلقه بخصوص جودي وحتى "بودير"، لابد أنه في مأزق، فكلمات أخيه في أثناء محادثتهما الأخيرة قبل حدوث كل هذا تنم عن أن "بودير" ربما له يد فيما حدث، ماذا فعلت يا "بودير"؟! وماذا حل بك وبجودي؟! الأمر الأكثر منطقية أنهما بخير، ويبقون كل منهما في غرفة أنيقة كتلك التي يوجد بها تحت اسم "نحافظ على سلامتهما"، لكنهما في الحقيقة سجينان مثله تماما، في وضع آخر تفكير كذلك كان ليراود جوزيف، لكن حقيقة الحبس هذه لا تعني سوى أمر واحد، هو أن أحدهما تعرض لمكروه ما. لوهلة لم يستطع جوزيف الشعور بنفسه أو بما يقوم به، وشعر بيده تتكوم وعلى وشك التحرك لتهوي على

وجه الحارس بشدة، لكنه شعر سريعا بمن يمسك بذراعه ليعيده للعالم الحقيقي وسمع صوت الخادم يردف: "عفوا، سمو الأمير"

لم يعلق جوزيف، لكنه استعجب بعض الشيء من فعل الخادم، كما لو كان يقصد أن يوقف جوزيف عما كاد يفعله، رأى الخادم يسير ليقف أمامه ثم يعقد يديه خلف ظهره ناظرا للأرض وينحني مردفا:

"أرجو أن يعجبك الكعك."

ثم خرج الخادم سريعا وأغلق الحارس الباب من خلفه، ليبقى جوزيف وحده في الغرفة غير مدرك ما يحدث، شعر بنبضات قلبه تتسارع وبصدره يحترق، يريد الاطمئنان أنهما بخير، اللعنة، ماذا فعلت يا "بودير"؟! أخذ يدور في أرجاء الغرفة، ثم عاود الجلوس على المقعد الذي كان يجلس أعلاه قبل دخول الخادم، فكر أن هذه مزحة بلا شك، فعوضا عن معرفته ما حدث لأخيه وزوجته يرسلون له الطعام، ثم عن أي كعك يتحدث؟! لطالما كان "بودير" محبًّا الكعك وليس جوزيف، بل على العكس فقد كره الكعك بكل أنواعه، فجأة خطر شيء في ذهنه جعله يفتح عينيه بشدة، ثم يوجههما صوب المائدة متجها لها، تفقد صحن الكعك سريعا لكنه لم يجد شيئا، خطرت له فكرة أخرى قام على إثرها بتفتيت الكعك بقدر ما استطاع، ليجد في النهاية ضالته بتلك الورقة المدفونة بداخل إحدى الكعكات، قام بفتحها بعناية؛ حيث إنها كانت تالفة بما فيه الكفاية فلم يرد زيادة الأمر سوءًا، تضمن ما كُتب بالورقة أن القوات الذين التي استدعاهم جوزيف اقتربوا من العاصمة الأم، بالإضافة لما يقرب من نصف الجيش، تعجب فهو لم

يستدعِ سوى بعض القوات فحسب، وكذلك بعض النبلاء والمتحدثين باسم الشعب من (ليس الكبرى)، ليأتوا كي ليساعدوه على إيقاف مهزلة قرار التوقف عن إيجاد علاج للمرض الأزرق تلك؛ فدعمهم لإيجاد علاج للمرض، بالإضافة لدعم إمبراطور شبه جزيرة لونا، كانا ليمثلا عامل ضغط شديد على دومين يمنعه من التطبيق الفعلي لذاك القرار، وكانت القوات ستكون هي الحل الأخير إذا تأزم الأمر للغاية، لكن من أمر نصف الجيش بالمجيء؟! لا يملك أحدًا الصلاحية لفعل ذلك سواه هو و"بودير"، إذن هذا ما فعله "بودير"! لكن "بودير" سيشعل حربًا بتلك الطريقة، وهذا ليس وقتًا للنزاع إطلاقا؛ الملك مات لتوه، وسيستغل كل من أبنائه شيئا كهذا لمصالحته، المرض الأزرق يزداد فتكا للشعب بمرور الوقت، ودورسيرا أظهرت المرايا أن روح ابنتها هجينة، ما فعله "بودير" قد يصير هو القشة التي ستقضم ظهر البعير، تضمنت الورقة كذلك قدوم المتحدثين باسم الشعب والنبلاء برفقة جنودهم، ويبدو أنهم متعصبين يميلون للحرب أيضا؛ لسماعهم بقدوم نصف الجيش، فيبدو أنهم اعتقدوا أن نوايا جوزيف تحولت للحرب عوضا عن الوصول لحل سلمي، بالطبع فأخبر الشعب الأحمر أن هناك نزاع ما وسيسعدون بتحوليه لعراك حقيقي، لم تحتوِ الورقة على معلومات عما حدث ل"بودير" وجودي أو عن مكانهما، من أرسل تلك الورقة؟! الخط ربما يكون مألوفًا لجوزيف بعض الشيء، لكن تزاحم أفكاره وقلقه المستمر حيال زوجته وأخيه لم يساعداه على معرفة المرسل أو المرسلة.

*****

"بالطبع لم تستطع رؤية امرأة تشبه دورسيرا في المظهر للغاية، وتبتعد عنها حتى إن كانت متزوجة، لكن كيف؟ كيف لامرأة من العامة أن ترفضك، بل ويحاول زوجها إبعادك عنها؟!"

تساءل جوزيف بسخرية، ثم هز رأسه باشمئزاز واستنكار متحدثا لأخيه.

"بالطبع لم تتحمل كرامتك ذلك خاصة وأنت سكير، فقتلت زوجها!"

"كان ذلك منذ اثني عشر عامًا! ولقد دفع والد ذلك الزوج لقاتل من جماعة الزهرة الدامية لقتلي، أم أنك نسيت ما سبب تلك الندب بجبهتي؟ لقد تمكنت من ذلك القاتل في اللحظة الأخيرة وكدت أموت جراء ذلك!"

تحدث "بودير" بحدة ليجيبه جوزيف:

"وبسبب ذلك لم يقتل عمنا فحسب والد زوجها، بل ووالديها وأطفالها أمام عيونها لينتهي بها الحال شانقة نفسها بحبل متدلٍ من شجرة"

"لم أعلم حتى هذه اللحظة أن كل هذا قد أصابها!"

"أتدرك ما شعرت به حين رأيت ما حل بها وبأسرتها؟! حين رأيت تلك الفتاة شانقة نفسها بسبب أفعالك؟! بسبب أخي الأصغر الذي قمت أنا بتربيته، لكني لم أعلمك فعل شيء كهذا أبدا، أنت من اتبعت نهج عمنا في الحياة، وصرت مهووسا بابنته لدرجة تجعلك تقترف أي شيء"

"لا يهمني إن صدقت ما أخبرتك به للتو أم لا يا جوزيف، فأنا لا أبتغي مغفرتك أو مغفرة أي شخص، أنا أحاول الحفاظ على حقوقنا وأنت لا تأبه

فحسب، أنت لا تأبه لأي شيء سوى لذلك المرض اللعين، إنك حتى لم تأبه لزوجتك سوى بعد علمك بمرضها، لكني أنا لن أسمح بضياع كل شيء منا!"

"ارحل من أمامي!"

تردد ذلك الحديث في مؤخرة رأس جوزيف، سمع صوت باب يُفتح، ففتح عينيه بشدة، يبدو أنه انهزم للنوم وحلم بآخر حديث له مع "بودير" إثر عدم النوم لعدة ليال متواصلة، كان متلهفا لمعرفة أي شيء، خاصة حيال جودي و"بودير"، دخل حارس وطلب منه مرافقته، سار بصحبة الحارس حتى وصل أمام غرفة أخرى ليجد حكيما يخرج منها، ثم أدخل الحارس جوزيف في تلك الغرفة، سمع صوت جودي تنطق اسمه بتلهف ثم اتجهت نحوه سريعا، لم يتدارك نفسه حتى سار جهتها واحتضنها بقوة شاعرا بالاطمئنان لإمساكه بها، ولشعوره برائحتها المميزة تحيطه مجددا، ظلا بهذا الوضع لبعض الوقت ثم تنهدت جودي مبتعدة:

"لقد كنت قلقة للغاية، أأنت على ما يرام؟"

كان صوتها خافتًا قلقًا بحق، أومأ جوزيف ناظرا إليها، وحينها فقط لاحظ كم تبدو متعبة، وأكثر شحوبا، أمسك بيدها موجهها إياها نحو أريكة موجودة بالغرفة وجلسا أعلاها ثم أردف:

"أأنت بخير؟"

"كنت أعتقد ذلك، لكن ليس بعد ما عرفته"

"لا بأس، سأجد حلًّا ما"

حاول إبعاد القلق عنها.

"عن أي حل تتحدث جوزيف؟! دومين يريد تجريدك من أراضيك! "بودير" يريد حربًا! نحن أشبه بالمحبوسين هنا!"

هزت رأسها باستنكار، حاول جوزيف رسم ابتسامة مطمئنة على وجهه، هو حقا يحتاج من يطمئنه الآن، لكن لا يريد زيادة توترها، فكل ذلك سيء على صحتها، اللعنة على ذاك المرض.

"جودي، سيصير كل شيء على ما يرام، لا تقلقي،"

"لا أقلق! كيف تطلب مني ذلك؟! جوزيف، أنا أعلم منذ البداية، أنا أعلم قرار الملك الذي لم تخبرني به، لكني لم أتحدث، وفجأة اختفيت أنت و"بودير"، وأخبروني بحجج غير منطقية لذلك، وأنهم على علم بأنك استعنت بذلك الرجل الذي يُشاع أنه ساحر، ثم وصلت إليَّ رسالة ما مخبأة داخل الطعام تتضمن المأزق الذي أنت به، حينها أصررت على رؤيتك أنت و"بودير"، وقمت بتهديدهم أن الأوضاع إذا استمرت كما هي سأجعل شبه جزيرة لونا تنقلب ضدهم."

أراد جوزيف إنهاء الأمر فقام بمقاطعتها:

"أنا حقا ممتن لما فعلته يا جودي، سأتولى أنا الأمور عند هذا الحد، أريدك فقط ألا تقلقي.."

صاحت جودي باسمه بطريقة لم يعهدها من قبل، كأنها تحاول إعادته للواقع المرير:

"جوزيف! ألم تسمعني من قبل؟!"

هدأت بعض الشيء واحمرت عيناها قليلا ثم أكملت:

"أخبرتك أني أعلم ومنذ البداية، أنا أعلم يا جوزيف، أعلم أنني مريضة، وأعلم أنني سأموت!"

شعر جوزيف بحرقة في صدره وبدموعه تتجمع في مقلتيه، أغلق عينيه وأردف بهدوء:

"توقفي.."

"أحقا تصورت أني لم أكن أدري؟! بعد رؤيتي لطفلي وهو يعاني من هذا المرض لسنوات طويلة؟!"

"لن تموتي.."

فتح عينيه وهز رأسه نافيا.

"لن تموتي، سأجد علاج!"

"لا يوجد علاج يا جوزيف! فلتدرك ذلك فحسب.."

"كلا، كلا يا جودي، لقد اقتربت للغاية، سأجد علاجًا! سأجد علاجًا كما وعدته؟!"

لم يدر أيحاول إقناعها أم إقناع نفسه، لا يستطيع التوقف عن الإيمان الآن، فحينها سيكون كل ما قام به بلا أي معنى، تنهدت جودي مبعدة نظرها عنه:

"ليس في حياتي يا جوزيف.."

لم يملك ما يجيب به، ظل ينظر لها بحسرة وعدم تصديق فحسب، إنها قد تفارق الحياة قبله وتصير حياته لا تحتويها، مجرد أميرة أنيقة، طموحة، ومهذبة،

رآها للمرة الأولى في حفل راقص، لم يتبادلا سوى التحية وبعض الكلمات المحدودة ورقصة، ثم انطلق كل منهما في طريقه غير آبه بالآخر، دون أي ظنون أنهما سيتشاركان مستقبلهما، اهتماماتهما بل وحياتهما، لاحت تلك الذكرى في خيال جوزيف، "بودير" كان محقًّا، عشر سنوات، عشر سنوات وهي بجواره تحبه وتهتم به على الرغم من موت ابنهما، وهو لم ينتبه لها سوى عند علمه أنه على وشك أن يفقدها، كانت تلك الزهرة الزرقاء هي ما ذكرته بها، وأبعدت عن خاطره فكرة تجاوز النافذة، لكنه سار في درب أبعد ما يكون عن تلك الزهرة حتى ذبلت وكادت تسقط، حينها استشعر ألم عدم وجودها، وقرر الاعتناء بها في محاولة يائسة لكيلا تسقط وتندثر، يا لندمك يا جوزيف، يا لندمك. وضعت جودي يدها على عينيها مخفية دموعها ثم أردفت:

"لا يهم الآن أي شيء، سوى الموقف الحالي، دومين لا يمكنه فعل ذلك بك!"

ثم وضعت يديها على وجنتي جوزيف برفق مكملة:

"أنت الحاكم الحقيقي للملكتين والعاصمة الأم، أخذوا منك ملكك وتغاضيت عن ذلك، لكن ما يحدث الآن لن يمر مرور الكرام، أعدك جوزيف أني سأفعل كل ما بوسعي كي تحصل على ملكك الشرعي!"

تنهد مغمضا عينيه ووضع إحدى يديه أعلى يد جودي، ثم رسم على وجهه نصف ابتسامة بحسرة متذكرا آخر مرة جاءوا بها لزيارة العاصمة الأم برفقة طفلهم، حينها كانت علاقة جوزيف بأخيه وبعمه ماتزال جيدة، كم كانوا سعداء! أين ولت تلك الأيام؟

"لا أريد سوى وجودك لجواري"

فتح عينيه ليجدها تنظر إلى اللاشيء غير مجيبة، عم الصمت حتى استجمع قوته وأردف بعزم:

"استمعي يا جودي، سنسترجع أراضينا، وسنجد علاجًا، وستصرين بخير"

"جوزيف.."

"ستصرين بخير يا جودي، لن أسأم ولن أفقد الأمل حتى أجد علاجًا! لن أفقدك إثر هذا المرض كما فقدت أبي وكما فقدنا ابننا، وأنتِ لن تموتي بهذا الشكل! وحين يحل ذلك اليوم لن يكون في حياتي، وسيتذكرك جميع الناس وينشدون باسمك كالأغنية!"

لاح شبح ابتسامة على وجه جودي، لم يدر سببها، فُتح الباب ولكن تلك المرة لم يكن الحارس، بل كان رادو وبرفقته حارسان، وقف جوزيف سريعا ثم سأله: "رادو، أين هو "بودير"؟! عليك إخباري!"

"إذن فعليك اتباعي يا سمو الأمير"

هم جوزيف بالذهاب، لكن جودي أمسكت بذراعه ككل تلك المرات السابقة قائلة: "سآتي برفقتكما!"

"كلا يا جودي، ابقي هنا!"

"سمو الأميرة، الأمير جوزيف محق، أنا أعتذر حقا لكن لا يمكنك المجيء"

نظرت جودي لجوزيف بعيون قلقة مردفة برجاء:

"عدني أنك ستعود إليَّ سالما"

ابتسم لها جوزيف ليطمئنها، ثم أمسك يدها هامسا لها:

"لا تقلقي، سأعود لك سالما، فلم أعطك زهرتك الزرقاء بعد"

ابتسمت لجملته بحزن، لكنها لم تترك ذراعه متفوهة بنبرة أكثر رجاء:

"عدني!"

"أعدك"

"سمو الأمير، هيا بنا من فضلك"

أردف رادو متعجلا، أومأ جوزيف له ثم استدار لجودي وربت على يدها برفق:

"ارتاحي فحسب، سأعود على الفور"

أردف بها جوزيف بينما ظلت تنظر له جودي بتلك العيون القلقة، استدار جوزيف لرادو وأشار له ليذهبا لحيث يوجد "بودير"، سار رادو وتبعه جوزيف يشعر بعيون جودي مسلطة عليه، بينما يسير مبتعدا، أخذ يردد في رأسه:

"ستصير الأمور على ما يرام"

*****

ظن جوزيف في البداية أن الأمر مزحة، لكن لم يستغرقه طويلا حتى أدرك أنهم في مازق بلا شك، وعليه أن يجد حلا بأسرع ما يمكن، فلا معنى لما يحدث سوى ذلك، فهل يوجد أي معنى آخر لسيرهم في الممر المؤدي للزنازين السفلية تلك، التي يتسترون فيها على ما يودون إخفاءه، تشبه الموجودة بعاصمة (ليس الكبرى)، كان الممر مضيئا ببعض الشعلات كما أمسك الحارسان المرافقان له

كذلك شعلات أخرى، حاول جوزيف أن يطمئن نفسه، لكنه فشل تماما في القيام بذلك، ذكرى أخيه تذكره بتلك الفتاة المشنوقة، إنه يستطيع مقاطعة "بودير"، الابتعاد عنه تماما، لكنه لا يمكنه أن يسمح لمكروه أن يصيب أخاه، سيحاول السيطرة على زمام الأمور، سيحاول تهدئة الأحداث، أي شيء، المهم الآن هو كل من "بودير" وجودي وأي تخطيط سيؤجله حتى يضمن سلامتهما، فقط يتمنى أن يتعاون معه أخوه الأحمق في ذلك الأمر ولا يدع العناد والغضب يتمكنان منه.

وصلوا أخيرا للزنازين، كانت رائحتها سيئة حقا وكذلك مظهرها، لمح جوزيف جرذا يجرى من أمامه مختفيا في أحد الأركان، لكن باله انشغل بأخيه، سمع صوتًا صادرًا من أحد الزنزانات يصيح:

"أروني أنفسكم أيها الجبناء، أقسم أني سأقطعكم إربا!"

سار جوزيف نحو الزنزانة سريعا ليجد "بودير" مكبل اليدين، صاح "بودير" باسم أخيه متعجبا، بدا متسخا ومتعبا، بدا أنه ظل هنا لأيام، أمسك "بودير" بسياج الزنزانة بكلتا يديه سريعا:

"أنت بخير! هذا جيد!"

هز جوزيف رأسه مستنكرا ثم صاح:

"ماذا يحدث هنا؟ رادو أخرجه فورا!"

نظر رادو لكل من جوزيف و"بودير" بلا تعبير على وجهه دون أن يجيب، سمع جوزيف صوت خطوات يقترب من حيث يوجد، ليلتف سريعا فيجده الملك وبجواره ستة حراس وأخته دورسيرا:

"هل لي أن أفهم ماذا يحدث؟ لمَ أخي محبوس بهذا الشكل المهين؟!"

"أخوك خائن، قام بتهديدي بالانقلاب ضدي، ويبدو أنك أنت كذلك خائن! تريد حشد ما يقارب نص جيش (ليس الكبرى) خارج أسوار المدينة وبرفقة النبلاء والمتحدثين باسم الشعب! تريد تهديد سلامة العاصمة الأم والأسرة الملكية وأمن واستقرار المملكتين! خائنان ومنقلبان ضد الملك والمملكتين وتتخذون معاونين سحرة! أخبرني يا جوزيف ما الذي يطلق على أمثالكما؟!"

شعر جوزيف بتجمد لسانه، خيانة؟! أقد وصل الموقف لذلك؟!

"أيها الملك، لقد اقترف أخي خطأ وسأقوم بإصلاحه، فقط دعه يخرج من هذا المكان"

"لا تدعي البراءة يا جوزيف، مجيء هذا الكم من الجنود لا يعني سوى أنك تريد حربًا! ستكون أنت أول الخاسرين بها!"

"جلالة الملك أقسم لك إني لا أريد حربا!"

"نحن كذلك لا نريد حرب!"

أردفت بها دورسيرا بينما أكمل دومين:

"ما فعلتماه أنت وأخوك غير قابل للغفران، لكني سأعطيك فرصة أخيرة يا جوزيف، وربما سأسمح لكما ألا تموتان علنا بينما تُنشد جرائمكما أمام جميع الناس!"

"اتهددنا أيها الـ.."

صاح "بودير" ليعنفه جوزيف فورا قبل إتمام جملته:

""بودير" اخرس!"

صمت "بودير" وبدا عليه الغضب بينما أردف دومين:

"أرى أن أخاك لا يتعلم مطلقا.."

"جلالة الملك دومين، الأمير "بودير" هنا منذ أيام، فيبدو أن الهلوسة قد أصابته فحسب"

"أمرتك بإحضار الأمير جوزيف فحسب يا رادو، لم أطلب رأيك فيما يدور هنا، فاغلق فمك"

"أيها الملك أقسم لك إني سأنفذ كل ما تأمر به، وسآمر بصرف كل النبلاء وممثلو شعب (ليس الكبرى) والقوات التي أتت برفقتهم، لن أحكم (ليس الكبرى) بعد اليوم، من فضلك أخرج أخي فحسب"

"جوزيف! إنك تُخسر نفسك كل شيء! توقف عن هذا الغباء فورا!"

صاح "بودير" ليجيبه جوزيف:

""بودير"، أنا أصدقك"

نظر له "بودير" بحيرة متساءلا:

"ماذا؟"

"أصدق ما أخبرتني به من قبل حين تحدثنا عن تلك الفتاة"

تغيرت ملامح "بودير" للاندهاش ثم الهدوء:

"جلالة الملك، الأمير جوزيف يريد أخاه سالما فحسب، وسيطيع كل ما تأمر به"

أردفت دورسيرا ثم اقتربت من أذن الملك هامسة ببعض الكلام غير المسموع، لم يبدِ دومين رد فعل لذلك، لكنه صمت قليل إثر ما سمعه من دورسيرا، ثم أشار لأحد الحراس بإخراج "بودير" من الزنزانة، لم تمر سوى بضع ثوانٍ وكان "بودير" يقف إلى جانب جوزيف حرًّا، ولكنه مازال مكبل اليدين.

"الآن يا جوزيف، ستأمر كل القوات التي بطريقها لأسوار مدينتي بالرحيل وإعلان الولاء لأخي "نايلس"، ستعيش بأقصى أراضي المملكة الشرقية كشخص عاديٍّ من العامة، ستتوقف عن إيجاد علاج للمرض الأزرق، وسيتم نفي أخاك للقارة المتجمدة!"

قال دومين آمرا، شعر جوزيف أنه سيجن! لابد من حل ما، لا يمكن أن يدع أخاه يُنفى!

"جلالة الملك، سأطيع كل ما تمليه، لكن عليك إعادة النظر بشأن نفي "بودير"، يمكننا الوصول لحل ما لا يتضمن ذلك"

"كلا، ستشتعل الحرب قبل أن يحدث أي من هذا!"

اعترض "بودير" بوقاحة على كلام دومين.

اللعنة يا "بودير" لمَ تصعب الأمور؟!

"الحرب إذن؟!"

كاد دومين يكمل حديثه، لولا تصويب جوزيف قبضته بقوة نحو وجه "بودير"، عليه أن يخرج به سالما! فكر جوزيف بينما نظر له جميع الحضور بدهشة، إلا "بودير" لعدم سماح جوزيف له بذلك، فقد صوَّب له مزيدًا من الضربات إلى أجزاء جسده، علم جوزيف ما يستطيع أخوه فعله من رد تلك الضربات وصدها، لكنه لم يفعل ذلك، عليه أن يخرج به سالما! فكر جوزيف بذلك بقدر ما صوب لأخيه من ركلات وقبضات ببطنه، بذراعه، بقدمه، برأسه، لم يتوقف حتى بعد سقوطه والجروح تملأ وجهه، بل ظل مستمرا بركل بطنه، فهذا ليس المكان المناسب ليكون جريئا وسليط اللسان؛ فهم ليسوا في موضع قوة بوجودهم في هذا المكان، توقف جوزيف في النهاية متنهدا:

"فلتخرس، سننفذ كل ما يأمر به الملك دومين"

وجه جوزيف حديثه ل"بودير" المكوم أرضا، الذي قام ببصق دماء بدوره بحنق، ثم وقف لجوار أخيه، نظر جوزيف لدومين الذي أصابه بعض الذهول مما حدث.

"جلالة الملك من فضلك أعد التفكير!"

عم الصمت قليلا ثم أردف دومين:

"حسنا إذن، سأتركك تسير خارجا من هنا برفقة أخيك، فيبدو أنك قادر على ترويضه"

شعر جوزيف ببعض الراحة، أكمل دومين:

"لكن تصرف أخيك لا يوحي لي بأنه يريد السِلم، لذا سيكون هناك ضمان أخير لعدم عصيانه أو عصيانك مجددا"

لم يفكر جوزيف بتلك اللحظة، أراد إخراج أخيه فحسب، قبل أن يتفوه بأي شيء يغير رأي دومين مجددا.

"أي شيء تأمر به، مولاي"

نظر دومين صوب رادو آمرا:

"رادو فلترحل بهما للقارب فورا، فأمامهما رحلة طويلة خلال النهر للوصول لموطنهم الجديد"

اتجه الحارسان برفقة رادو جهتهما ليسيرا بهما للخارج.

"لكن علينا إحضار زوجتي أولا!"

قال جوزيف، ليجيبه دومين بجدية:

"كلا يا جوزيف، الأميرة جودي ستظل ضيفتنا بالعاصمة الأم!"

صُدم جوزيف:

"ماذا؟! هذا لم يكن ضمن اتفاقنا، أنا لن أقبل بحدوث ذلك!"

"لقد قبلت بالفعل لتوك!"

ماذا؟! كلا، كلا، هذا لا يمكن أن يحدث!

"لا تحسبني سأدعك ترحل بكل من أخيك وزوجتك، ثم تنقلب عن اتفاقك وتهدد سلامة المملكتين مجددا، تركت لك الخيار وأنت اخترت أخاك، والآن لا أريد سماع المزيد، ارحلا بهما من أمامي"

أنهى دومين حديثه وهو يأمر الحارسين بجوارهما، لوهلة نسي جوزيف الموجودات من حوله، ولم يدر أيجادل ويرفض أبدا الرحيل دون جودي أم يضمن سلامة أخيه أولا، بالطبع لن يتركها أبدا، لكنه لا يستطيع السماح لأي شيء بالحدوث ل"بودير" كذلك، كان الحارس الآن يجذبه من ذراعه، لكنه لم يتحرك وظل متخشبا بموضعه، فجأة حدث ما أخرجه من هذيانه، حدث بشكل سريع للغاية، حين قام "بودير" بسحب أحد سيفي الحارسين على الرغم من كونه مكبلًا وغير معافى بسبب ضربات جوزيف السابقة له، ثم طعن ذلك الحارس سريعا، لم يدرِ جوزيف الأمر تماما حتى رأى "بودير" يبارز بضراوة الحارس الذي كان يجذب ذراع جوزيف منذ قليل، بينما أخرج الستة حراس الواق"فين" بجوار الملك سيوفهم، وبقي اثنان منهم بالإضافة لرادو لحماية الملك، بينما اتجه أربعة منهم ل"بودير" ليحيطوه، وفي تلك اللحظة نفسها كان "بودير" قد اقحم سيفه بالفعل بصدر الحارس الذي كان ممسكا بجوزيف من قبل، مخرجا إياه بسرعة جنونية ليصد بقوة ضربة سيف كادت تخترق صدره، ويؤدي لقذف ذلك السيف من يد الحارس ثم فصل رأس الحارس، انحنى سريعا ليتجنب ضربة مميتة من حارس آخر، ثم أوصد سيفه بقدم الحارس، اللعنة، فكر جوزيف وهو يجذب أحد سيوف الحراس الميتين ويبارز أحد الحارسين المتبقيين، ليحد الخطر من على "بودير" الذي بدوره لم يستطع الوصول سوى لخنجر من جثة أحد الحراس، واستخدمه لصد ضربة كادت تخترق عنقه، أخذ جوزيف يبارز الحارس الذي أمامه حتى أسقطه طريح الأرض، بينما "بودير" استمر بمحاولة صد الضربات

وتسديدها حتى تراجع بضع خطوات، وقام برمي الخنجر بلمح البصر ليخترق عنق الحارس عبر ذلك الشق الضيق الظاهر من الخوذة الحديدة، رمى جوزيف سيفه أرضا، وهو ينظر لكل تلك الفوضى باستياء، بينما أخذ "بودير" سيف حارس ميت واتجه مسرعا نحو دومين، حاول جوزيف الهرع نحوه وإيقافه، لكن شخصًا ما سبق جوزيف لذلك، فحينما كاد يقترب منه للغاية كانت دورسيرا قد وقفت أمام "بودير" محاولة وضع يديها أعلى كتفه وهي تردف بصوت عالٍ:

""بودير"، توقف!"

بدا أن "بودير" توتر قليلا، لكنه سرعان ما عاد لسخطه وحاول إبعادها من أمامه وإكمال طريقه، لكن ما أفزع جوزيف هو رؤيته لذلك الحارس الذي أصابه "بودير" في قدمه منذ ثوان يهرع بسرعة فائقة جهة "بودير" وهو يشهر خنجرًا، لم يتدارك جوزيف نفسه سوى وهو يركض كالمجنون بأسرع ما لديه متجها ل"بودير"، ويدفعه بعزم ما لديه ليُبعده عن ذلك الموضع، لم تمر سوى ثوانٍ وشعر جوزيف بظهره وصدره يحترقان إثر اختراق نصل خنجر الحارس لهما، استدار "بودير" ونظر لأخيه بعيون واسعة غير مصدق ما يراه، شعر جوزيف بقدميه ضعيفتين وحاول وضع يده أعلى موضع الألم في محاولة يائسة لتخفيفه، فقد صار لا يُحتمل، لم تعد تتحمله قدماه وشعر بهما تخونانه وبنفسه يسقط أرضا، شعر بيدي "بودير" تمسكان به وسمعه يصيح باسمه بغير تصديق، سمع كذلك دومين يصيح بشيء ما، رأى دورسيرا تقترب منه وتنظر له بصدمة وهي تهز رأسها غير مصدقة، سلط نظرة أخيرة ل"بودير" الذي سرعان ما

أمسكه الحارسان المتبقيان، وثبتا جسده ورأسه أرضا، لكن "بودير" تجاهل ذلك وظل ينظر بصدمة لجوزيف، شعر جوزيف بعيونه تخونانه أيضا وبجفونه ثقيلة للغاية، لوهلة رأى نفسه وهو صغير و"بودير" الصغير قصير القامة يحاول تسلق شجرة ما، بدا "بودير" شقيًّا، ولكن مضحك للغاية، رأى نفسه يضحك برفقة دورسيرا وأخوها رانل، بدا رانل حيا للغاية، وبدت دورسيرا وديعة للغاية، رأى نفسه برفقة معلمه والحكيم الأول الذي أشرف على تدريسه، رأى ابتسامة والده الأخيرة له، رأى نفسه يحمل وليده للمرة الأولى، رأى رقصته برفقة جودي.

'ركز على ما تملك أيها الأمير، وليس على ما فقدت، فالموت يشغل البشر بما فقدوا، حتى يسرق ما تبقى لهم، تلك هي نصيحتي لك.'

تذكر تلك الكلمات، إذن فهذا ما عناه، فالموت لم يسرق أحباءه فحسب، بل سرق حياته بأكملها، في الواقع ربما جوزيف من ترك له فرصة فعل ذلك، فإن غفر لأخيه عوضا عن كل سنين المفارقة تلك، وإن كان بجوار زوجته وأخبرها كم أحبها، إن ركز على ما امتلك، لصارت العشر سنوات السابقة أكثر سعادة، لم يكن ذلك ليلغي محاولاته لتحقيق هدفه، لكنه لشعر أنه يعيش لنفسه ولو لوهلة. 'أنا أسف يا جودي' كان ذلك كل ما خطر بباله، حتى شعر بظل شخص يقترب منه، ابتسم لسماع ذلك الصوت الذي اشتاق له كثيرا يهمس:

"أبي"

*****